إشكالية الخلط بين المعرفة العقلانية والمعرفة العلمية

د .عائشة محمد حمد العمروني - قسم الفلسفة - كلية الاداب والتربية- جامعة بنغازي

الملخص

انطلاقا من إشكالية الخلط بين مفهومي المعرفة العقلانية والمعرفة العلمية ومطابقتهما، الواحدة على الأخرى واستخدامها دون تحديد أو استبدالهما عند الحاجة هذا بضعنا أمام حدود هذا الخلط وسببه.

فالخلط بين هذين المفهومين سبب الكثير من الالتباس، وسبب كذلك عدم الوضوح في المفاهيم ولكن في الحقيقة لا يمكن التأكد بطريقة صحيحة على انتزاع امر مجمع عليه لتصور معين للمعرفة العقلانية وتصور معين للمعرفة العلمية ولا يوجد حول هذين المفهومين اجماع تام أو شبه اجماع اذن الإشكالية الأساسية التي تواجهنا في هذا البحث تتعلق بما يبرر هذه النقلات التي حصلت من مفهوم إلى آخر وأثناء عملية النقل هذه هل نستطيع أن نقول أن هناك حدوداً معينة عندما نصل إليها نكون على علم أننا إذا ما تجاورناها نكون قد انتقلنا إلى مفهوم آخر مغاير تماماً تجدر الإشارة هنا إلى هذه الإشكالية تتطلب منى توضيح للمعرفة بصفه عامة تم توضيح بعد ذلك للعقل والتميز بين المعرفة العلمية والمعرفة العقلية وبيان إشكالية الخلط بين هذين المفهومين كذلك بيان إذا كان هناك حدود بينهم.

الكلمات الافتتاحية: الإشكالية، المعرفة العقلية، المعرفة العلمية.

ABSTRACT

Based on the problem of confusing the concepts of rational knowledge with scientific knowledge and matching them on each other and using them without specifying or replacing them when needed. We are faced with few limits of this confusion and their causes. The resulted confusion between these two concepts has caused a lot of uncertainty, as well as a lack of clarity in concepts, but in fact it is not possible to correctly ascertain the extraction of a complex order as a certain perception of rational knowledge and a certain perception of scientific knowledge. This means there is no complete common consensus on the basic problem facing us. This research relates to what justifies these shifts that have taken place from one concept to another and during this transfer. Can we say that there are certain limits when we reach them? If we exceed

these limits, would that mean we moved to a completely different concept. It should be noted here that this problem requires me to clarify knowledge in general, which was then clarified to the mind and the distinction between scientific knowledge and mental knowledge. This problem reveals the overlapping misconception between the two views also if there are boundaries between them.

KeyWords: The problem, Mental knowledge, Scientific knowledge.

أهميـة الـدراسـة

تضعنا هذه الدراسة في عمق أهم الدراسات والأبحاث الفلسفية التي ظهرت في العصر الحديث والمعاصر، كما إنها تبين القيمة العلمية الدقيقة لأهمية المعرفة الإنسانية لدى مفكرينا.

أهـداف الـدراسـة

التركيز على مفهوم المعرفة العقلية والمعرفة العلمية وبيان التداخل بين هذين المفهوميين.

منهـج الـدراسـة

تستخدم الدراسة المنهج التحليلي النقدي.

المقـــدمـــة

انطلاقا من إشكالية الخلط بين مفهومي المعرفة العقلانية والمعرفة العلمية ومطابقتهما الواحدة على الأخرى واستخدامهما دون تحديد أو استبدالهما عند الحاجة يضعنا أمام حدود هذا الخلط وسببه.

وعدم الوضوح في أبسط صوره حدث ذهني يتم بواسطته الإستعاضة بحد من الحدود عن أخر بطريقة مشروعة، والبرهنه على حدوثه تستدعى أحد أمرين الإفصاح عن لا مشروعية الاستعاضة التي يتضمنها وذلك بتبيان الفروق الجوهرية التي أغفلها المستعيض أو توضيح جملة الأوهام التي يستلزمها الخلط. (1)

والتداخل بين هذين المفهومين سبب الكثير من الإلتباس، وسبب كذلك عدم الوضوح في المفاهيم ولكن في الحقيقة لا يمكن التأكد بطريقة صحيحة على انتزاع أمر مجمع عليه لتصور معين للمعرفة العقلانية وتصور معين للمعرفة العلمية، ولا يوجد حول هذين المفهومين إجماع تام أو شبه إجماع إذن الإشكالية الأساسية التي تواجهنا في هذا البحث تتعلق بما يبرر هذه النقلات التي حصلت من مفهوم إلى آخر، وأثناء عملية النقل هذه هل نستطيع أن نقول أن هناك حدوداً معينة عندما نصل إليها نكون على علم أننا إذا ما تجاوزناها نكون قد انتقلنا إلى مفهوم آخر مغاير تماماً؟ تجدر الإشارة هنا إلى أن هذه

الإشكالية تتطلب توضيحاً للمعرفة بصفه عامة ثم توضيحاً بعد ذلك للعقل والتميز بين المعرفة العلمية والمعرفة العقلية وبيان إشكالية الخلط بين هذين المفهومين كذلك بيان إذا كان هناك حدوداً بينهما.

ليس جديداً وجود علاقة بين الإنسان وما يبحث عنه أو فيه وما يريد معرفته، إنها علاقة كانت ولا تزال منذ أن كان هذا الإنسان ومنذ اللحظة التي انطلق فيها باحثاً عن المعرفة بالأشياء التي يراها ويلمسها ويحسها ويتخيلها.

لقد ثبت في كل مراحل التاريخ البشرى أن الانسان مهتم بالمعرفة وباحثاً عنها، إن ذلك يعتبر قيمة إنسانية تميزه عن غيره من المخلوقات وتدحض ما قيل عن الوظيفة الفيسيولوجية لدماغ الإنسان فقط.

لقد كان الدماغ ولا يزال يعمل فسيولوجيا ويتوافق ذلك مع العمل والوعى ولا ينفضل عنه، وهنا العلاقة بين الذات الإنسانية والطبيعة أي بين المعرفة العلمية والمعرفة العقلية علاقة توصيليه تحمل قيمة إنسانية بالنظر إلى فعل إنساني.(2)

مفهـــوم المعـــرفة

عرف **ابن منظور 711هـ** المعرفة بأنها : العلم عرفه يعرفه عرفه وعرفانا ومعرفة ...والعريف والعارف بمعنى مثل عليم وعالم، في هذا التعريف نجد أن المعرفة جاءت مرادفة للعلم إذ جعل العارف مثل العالم.

وعرفها أيضا **الأمام اللغوي (الفيروز بادي) (1329–1315)** في القاموس المحيط هذا التعريف وما عرف إلا بأخره، أي ما عرفنى إلا أخيراً والعرفة :المعرفة، في كلا التعريفين نجد أن مصدر كلمة المعرفة جاءت من الفعل عرف التي تعني الإدراك.

والمعرفة **اصطلاحاً**: يعرفها جميل صليبا في المعجم الفلسفي بالأتي (عرف الشيء أدركه بالحواس أو بغيرها، والمعرفة إدراك لأشياء وماهيتها وأصلها، أو تصديقاً بأحوالها وهنا يكون تصور الماهية أو تصديقا باحوالها).

ويضيف :(**منها إدراك بسيط سواء كان هذا الادراك تصوراً للماهية)** وهذا يكون معرفة، لأنها المعرفة تهتم بحقائق الأشياء وماهيتها واصلها) أو تصديقاً بأحوالها وهذا يكون علماً لأن العلم يدرس مادة الشيء فقط.(3)

من هذا المنطلق فالمعرفة **Knowledge** : هي وعى وفهم الحقائق أو اكتساب المعلومات عن طريق التجربة أو من خلال تأمل النفس والمعرفة مرتبطة بالبديهية واكتشاف المجهول وتطوير الذات فكلمة المعرفة تحمل العديد من المعاني، كما انها ترتبط مباشرة بالمفاهيم التالية، معلومات، تعليم، اتصال (**مصطفي حسيبة 2009م– ص 602 _603**).(4)

المعـرفة تعـرف بمصطـلح **Epistemelogos** في الفلسفة وهي فرع من فروعها وهي كلمة مؤلفة من جمع كلمتين يوناتيتن **Episteme** بمعني علم و **logos** بمعني منطق، علم ، نقد ، دراسة فهي إذن دراسة العلوم النقدية وتعتبر نظرية المعرفة أحد

فروع الفلسفة الذي يدرس طبيعة ومنظور المعرفة، ويعتقد أن مصطلح الأبستمولوجيا صياغة الفيلسوف الاسكتلندي (**جيمس فريدريك، J.f 1864م**).(5)

ويعرفها (**إبراهيم مذكور1996م**) في معجمه الفلسفي: بأنها ثمرة التقابل والاتصال بين الذات المدركة والموضوع المدرك ويتميز عن باقي معطيات الشعور، من حيث إنها تقوم في آن واحد على التقابل والاتحاد الوثيق بين هذين الطرفين.(6)

كما نجد (**لالاند L.L 1963م**) يذهب إلى أن تعريف المعرفة في معجمه الفلسفي: عبارة عن دراسة العلاقات القائمة بين الذات والموضوع من فعل المعرفة وأتى بأقدم صورة لها وهي المسألة بما معناها إلى أي حد يبدو ما يتمثل إليه البشر متماثلا لما هو قائم، أما بخصوص صورتها الحديثة قال: لنفترض أن الذات العارفة طبيعة محددة بصفتها هذه **فما هي قوانين هذه الطبيعة في إعمار الفكر ؟ وما هو اسهامها في التمثل؟** ولكن هذه الصورة الثانية للسؤال ما برحت فتعتبر هي أيضا كأنها حكم، لهذا يقول مفصلا إلى تحديد قيمة العلم والتمثل فيطلق أسم نظرية المعرفة على مجموعة تنظيرات هدفها تحديد قيمة معارفنا وحدودها.(7)

هذا يعني أن الابستيمولوجيا تدرس بشكل نقدي مبادئ كافة أنواع العلوم وفروضها ونتائجها لتحديد أصلها المنطقي وبيانه، فمعظم الجدل والنقاش في هذا الفرع يدور حول طبيعة المعرفة وارتباطها بالترميزات والمصطلحات مثل الحقيقة، الاعتقاد، التحليل ، التبرير "كما أن الابستيمولوجيا تدرس وسائل إنتاج المعرفة كما تهتم بالشكوك حول ادعاءات المعرفة المختلفة، بكلمات أخرى تحاول الابستيمولوجيا أن تجيب عن الأسئلة الآتية **ما هي المعرفة** ؟ كيف يتم الحصول على المعرفة.(8)

وبالنظر إلى (**نظرية المعرفة**) بالمعنى الاعم:فهي العلم الذي يبحث في مادة العلم الإنساني ومبادئه الصورية، وبالمعنى الأخص يدل على العلم الذي يبحث في المعرفة من حيث مبادئها الصورية لذلك يجب أن نستعمل كلا الكلمتين في معناها الإصطلاحي غير ناسين أنهما علمين متكاملين متضامنين، يبحث أولهما في مادة التفكير العامة ويبحث الثاني في الصورة وإن من الإثنين (**علم المعرفة**).

مفهوم العقل

تجدر الإشارة هنا إلى أن تحديد معنى العقل من المحددات الصعبة لعدم خضوعه للبحث، عندما يريد شخص ما أن يدلل على إنه يفكر فأنه يشير باصبعه إلى رأسه ولكن ما هو موجود في الرأس هو المخ والمخ شي والعقل شيء آخر.

فالعقل كما يوضحه (**برهان غلبون**) في كتابه اغتيال العقل " **أنه مفهوم مجرد في استخدامه الفلسفي ولا علاقة له بالفكرة الشائعة التي تجعل منه ملكة إنسانية قائمة بذاتها وجوهريه، ويتبدل معناها ومحتواها بتبدل النظام الفكري الذي نستخدمه**

فيه، واسوأ ما يصيب التفكير الفلسفي أن يرد المفهوم إلى صورة ثانية مجسده فينحط مفهوم العقل إلى مستوى الدماغ وهو مفهوم فسيولوجي ". (9)

لقد وجد العقل في النظريات القديمة في العالم العلوي السماوى، هذا العالم الذي يحتوى على الحق والخير والجمال وعلى الفضائل والحقائق المطلقة، ومن ثم قد عرف هذا العقل هذه الحقائق وتلك الفضائل ولكن عندما اتصل بالجسم نشأت بينه و بين هذه الحقائق حجب تفصله عن الوصول إليها ومن هنا احتاج " العقل إلى عملية تدريب حتى يتذكر ما بدأ في نسيانه وما كان يعرفه من قبل. (10)

جاءت فلسفة **أنكساغوراس ق.م** : وقال لأول مرة بفكرة العقل، وكلمة العقل باليونانية **Nouns (نوس)** وباللاتينية إما أن تكون **ratio** أو **intellectus** ولا حاجة لبيان اشتقاقها، لأنه لا فائدة في هذا البيان بالنسبة إلى معنى الكلمة، فإذا أردنا الآن أن نحدد المعاني التي تشملها كلمة **raison** الفرنسية وجدنا أن هذه المعاني تنقسم أولا : إلى طائفتين، وثانياً: تدخل تحت كل طائفة من هاتين الطائفتين عدة معان، فالعقل ينقسم أولا إلى العقل بوصفة الملكة التي تفكر تفكيراً منطقياً عن طريق التصورات في الأحكام والتصديقات أو القضايا في البراهين، والعقل بهذا المعنى في مقابل العيان والوجدان **intuition** وذلك لأن العقل في هذه الحالة يسير على طريقة تركيبية منطقية **discursive**، والتفكير على هذا النحو هو الانتقال من تصور إلى تصور آخر.

والعقل بهذا المعنى هو ما يميز الإنسان عن الحيوان وبعضهم يضع تفرقة أخرى فيجعل **ratio** في مقابل **intellectus** كما فعل (**القديس توماس الأكويني 1274م**) **S.Thomas d.Aquin** وهو يقول إن الـ **intellectus** أرقى مرتبة من الـ **ratio** لأن الـ **intellectus** يدرك الأشياء بطريقة أقرب إلى الإدراك الوجداني.

والعقل بالمعنى الثاني : هو ملكة التقدير أو الحكمة الصحيحة التي نستطيع أن نميز بواسطتها بين الحق والباطل والخير والشر بل وأيضاً الجميل والقبيح عن طريق عاطفة باطنة مباشرة تلقائية **spontone**، والعقل بهذا المعنى في مقابل الجنون من ناحية، ومن ناحية أخرى الإنفعالات الوجدانية **passione**.

والعقل بالمعنى الثالث :في مقابل النقل بمعنى أنه المعرفة الطبيعية في مقابل المعرفة الموحى بها، والعقل كما هو ظاهر هنا في مقابل النقل الذي هو ظاهر هذا في مقابل النقل الذي هو الوحي، ويتصل بهذا المعنى المشكلة المشهورة الخاصة بالصلة بين العقل والإيمان **"raison et ia foi ia"**، والعقل بالمعنى الرابع : هو مجموع المبادئ القبلية **apriori** أي السابقة على التجربة التي تدرك بمقتضاها التجربة والقبلي **apriori** يقابل البعدي **aposteriori** أي اللاحق على التجربة، وهو الذي يدرك عن طريق التجربة.

أما المعاني الأخرى للعقل ، فهي تدل عليه بوصفه موضوعاً للمعرفة، فتنقسم إلى ثلاثة : فكلمة معناها أولا الرابطة وهذا ظاهر خصوصاً في الرياضيات فيقال مثلا أي **Raison d . une progression** **"أساس المتواليات"**، وثانياً مبدأ التفسير وبهذا المعنى يقال **raison etre** أي بسبب وجود الشيء أو ما يشرح به العلة في وجود شيء، وثالثاً وأخيراً بمعنى مبدأ التبرير وبهذا المعنى يقال **" coeura ses raisons "** أي أن: إن للقلب أحكامه.(11)

والعقل في اللغة هو الربط والحجر والنهي والتقييد والمنع ، عقلت الناقة، إذا منعتها عن السير، وقد أطلق على إحدى قوى النفس البشرية ، تشبيها لها بعقال الناقة، أي قيدها، لأنها تمنع صاحبها من العدول عن السواء السبيل، كما يمنع العقال الناقة عن الشرود، فالعقل بهذا المعنى، يدل على القيد والرباط الذي يمنع صاحبه من الخطأ والانحراف عن جادة الصواب والعقل اصطلاحا هو الملكة (التي تمكننا من التمييز بين الخير والشر ، والصواب والخطأ، فالعقل بهذا المعنى، عبارة عن قوة أودعها الله تعالى في نفوسنا، تمكننا من إدراك الخير والشر ، والصواب والخطأ، لنتمكن فيما بعد من إتباع الطريق الذي نريد عن وعي وإدراك.(12)

وقد عرفه (**إبراهيم مذكور**) في المعجم الفلسفي أن العقل بوجه عام هو ما يميز به الحق من الباطل والصواب من الخطأ، ويطلق على اسمى صور العمليات الذهنية بعامة، وعلى البرهنة والإستدلال بخاصة، ويراد به أيضاً المبادئ اليقينية التي يلتقى عندها العقلاء جميعاً، وهي مبدأ الهويه وعدم التناقص ومبدأ العليه ويطلق اللفظ الأجنبي أيضاً على ما يساوي السبب ومنه الأسباب الكافية.(13)

فالعقل في عمق ثقافتنا لا يعني القدرة على الاكتشاف، بمقدار ما يعنى طاقة جيدة على تحقيق التوازن الشخصي، وتوازن المرء مع بيئة ، إلى جانب انسجام سلوكه مع مبادئه وأهدافه، حيث يتم تحديد المنطق والعقل من اعتبارات قبول كثير من المبادئ والأفكار، وصار الإهتمام منصباً على مدى ما تحققه من سد للحاجات وتلبيه للرغبات بغض النظر عن أي اعتبار آخر. (14)

ولو أخذنا بعض تعريفات العقل لدى اليونان القدماء والفلاسفة الأوربيون الذين حافظوا على التعريف اليوناني إلى حد ما لا وجدنا من خلال تعريفاتهم أن العقل (**نوس Nouns**) باعتباره أعظم شيء له قيمة في الانسان ولأنه هو الذي يدرك سلم الصور وهو الذي يجردها والصورة في الوقت نفسه غايته، هذا وقد أحيا (**ديكارت Dicart 1650م**) هذا العقل مرة آخرى وكذلك سائر الديكارتين أما (**كانط kant 1804م**) فقد نظر إلى العقل نفسه وحلله وجعل له منزله.

يعرف قاموس أكسفورد العقل بأنه :ذلك الموضوع غير المحسوس للكلمات النفسية أو الروح بوصفها مستقلة عن الجسم.(15)

أما (**يوي 1950م**) فهو يرى أن العقل ليس أداة المعرفة **organ of Knowledge** وإنما هو أداة لتطور الحياة وتنميتها **Instrument for promoting** فليس من وظيفة العقل أن يعرف وليس من عمل الحقائق **Truths** أن تظهر للعقل بشكل يستطيع معه أن يعرفها وإنما عمل العقل هو خدمة الحياة وتيسير السبل لها لكي تنمو وتتطور.

إذن العقل عند (**ديوي**) ليس مادة الطبيعة وليس هويتها، وإنما هو شكل الحياة، لقد اعتبر العقل نمطاً معينا من السلوك يعالج به الإنسان بيئتة على نحو يعينه على الحياة، فالعلاقة الدالة على وجود العقل في أية ظاهرة سلوكية هي أن نلاحظ فيها استهداف لغايات مستقبلية ، واختياراً للوسائل المؤديه، أي بلوغ تلك الغايات وهو الأساس الذي أقام عليه ديوي منهجه، وبناء عليه تفكيره (**16**)، ويطلق على العقل أحيانا مصطلح الفهم (**understanding**) وهي تسمية مناسبة لأن طبيعة الأشياء تكمن (**stands under**) تحت صفاتها الظاهرية التي تفهمها الحواس، والفهم يستطيع كذلك أن ينفذ الى العلة التي يرتكز عليها الأثر الذي تتركه الحواس، ومن هنا فتسمية الفهم مشتقة من قدرة العقل على معرفة ماهية الأشياء وعللها.(**17**)

المعـــرفـة العقليـة والمعـــرفـة العلميـة

إن العقل هو مصدر المعرفة التي منها نستمد أحكاماً متبينه ومتسقة بعضها مع بعض. (**18**)

فبالعقل ميز الله الإنسان لأنه منشأ الفكر الذي جعلة مبدأ كمال الإنسان ونهاية شرفه وفضله على الكائنات، وميزه بالإرادة وقدرة التصرف والتسخير للكون والحياة، بما وهبه من العقل وما أودع فيه فطرة للإدراك والتدبير والتصريف في الحياة والمقدرات وفق ما عمله من نواصيها وأسبابها ومسبباتها، فالعقل الإنساني أداة الإدراك والفهم والنظر والتلقي والتمييز والموازنة بين الخير والنفع والضرر، وهو وسيلة الإنسان لأداة مسؤولية الوجود والفعل في عالم الشهادة والحياة، والعقل بما أودع من فطرة إلى جانب أنه الوسيلة الأساسية للإدراك فإنه يحوى في ذاته بديهيات المعاني والعلاقات بين الإنسان والحياة والكائنات، ويبني عليها منطقه ومفاهيمه الأساسية في هذا الوجود، ولأنه مناط تشريف وتكليف فهو مناط حساب ومسؤولية (**19**)، فمثلا نجد أن الحقائق الرياضية والمنطقية هي أنواع من المعرفة (**البينة بذاتها**) التي تحتكم إلى العقل، خذ مثلا القضية القائلة بأن االمتناقضين لا يمكن أن يكونا صادقين في الوقت نفسه، أو القضية القائلة بأنه إذا كانت **أ** أكبر من **ب** وأن **ب** أكبر من **ج**، فهاتان القضيتان مستقلتان عن الأمثلة الواقعية وغير مستمدتين من الحواس، إنهما صحيحتان بغض النظر عن خبرتنا بهما.

وهؤلاء الذين يؤكدون أن العقل هو العامل الهام في المعرفة إنما يعرفون باسم العقليين **Rationalists**، إنهم يعترفون بما تقدمه الحواس للمعرفة في شكل حقائق مجردة وفي شكل انطباعات منفصلة، ولكنهم يعتقدون أن الفكر يقوم بتفسير وتنظيم هذه القطع الضئيلة من المعلومات فيما يمكن أن نطلق عليه اسم المعرفة الثابتة ذات القيمة، على أن المعرفة المستفادة من

خلال العقل لها حدود هامة، فهي تنحو إلى أن تكون مجردة ، ذلك أنها تتناول عالم العلاقات والمعاني ولا تقدم سوى فهم ضئيل لعالم الأشياء، وحيث أن حياتنا منغمسة بلا مناص في عالم الفزيائي المادي، فإننا بحاجة إلى عون من الأنماط الأخرى من المعرفة وأكثر من هذا فإن عملياتنا العقلية قد تكون متأثرة بالتحيزات والإهتمامات والميول التي تمنع العقل في الغالب من أن يكون موضوعياً، ويستخدم العقل الصرف في نطاق أضيق في الوقت الحاضر كما كان عليه الحال في العصور القديمة، عندما اعتقد الإنسان أن العقل وحده هو المهيمن، ومع هذا فما يزال هو الفيصل والقاضي في المعرفة إذا ما أريد للمعرفة أن تكون معقولة ، فهنا يجد العقل نفسه في وضع صعب بلا ريب وذلك لأن العقل البشرى كما يبدو يجب أن يحكم على نفسه بالفعل لقد أعلن (**كانت kant**) ذات مرة أن العقل يحاول " أن يباشر أكثر المهام جميعها تعباً، أي مهمة اختبار الذات . " ويقول (**لوك locke**) : " إن هذه المهمة مثل مهمة العين، فبينما هي تحملنا على أن نرى وندرك جميع الأشياء الأخرى، لا تلقى إلا إلى نفسها، وهي تلتزم الفن والجهد لكي تصنع ذاتها على مسافة وتجعل ذاتها موضوعاً لها في نفس الوقت. (**20**)

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا **هل كل عقل ينتج بالضرورة عنه معرفة عقلانية** ؟ من المعروف أن العقلانية مذهب فلسفي يرى أن العالم يدرك بالعقل، وبالعقل وحدة تدرك الأشياء وبالتالي هو الأداة الرئيسية للمعرفة، العقلانية في مواجهة الإمبريقية التي تعتمد على التجربة الحسية، وترتبط المعرفة العقلانية بالعقلانيين المحدثين من (**ديكارت Decart**) إلى مدرسة التنوير التي مثلت الذروة وكان من دعاتها (**اسبنوزا، Espinosa 1677م**) **K** (**وليبنز Leibniz 1916م**)، فالعقلانية بمختلف مدراسها سواء انطلقت من (**بيكون Bacon 1626م**) أو (**ديكارت**) أخذت تخضع كل ما في الوجود للعقل فحاولت أن تخضع الأفكار والأديان والمواد ..... ألخ بغض النظر عن النجاح أو الفشل (**21**)، يبقى هنا أن نتساءل عن الأساس الذي نعتمد عليه النظرة العقلانية وماهية الشروط التي يجب أن تتوفر كما يحق لنا أن نقول أن هذا الشيء عقلانياً يقول (**غليون**) في كتابه اغتيال العقل " أن أساس النظرة العقلانية الحقة هو الكشف عن منطق الأمور وترابطها الداخلي أي عقلها الذاتي لا من منطلق منطق قياسي مجرد واحد يسوي بين مطالب المعرفة، ولكن من وجهة ترابط منهج كل معرفة في مطلبها، فمطلب المعرفة العلمية هو البحث عن الحقيقة الموضوعية المجردة بعيداً ما أمكن عن الهوى ولا يمكن لمنهجا أن يكون إلا منهجا لتفسير الوقائع والكشف عن القوانين التي تحكمه سواء كانت طبيعية أم اجتماعية (**22**)، بينما نرى أن (**نظمي لوقا 1987م**) في كتابه " **محاكمة العقل يذكر : أن نشاط العقل المتميز هو الإستدلال الذي طبيعته** " إنما أن ... أذن " وقوام هذا النشاط هو بالدرجة الأولى محصور في الربط والاستلزام، أي استخراج نتائج لازمه لزوماً ضروريا من المقدمات بصرف النظر عن الصواب، وعملية الربط والاستلزام عملية عقلية أي صورية مجردة لا تتغير بتغير المعرفة، فنشاط العقل إذن مستقل بنفسه عن المعلومات التي قد تتغير بتقدم العلم .(**23**)

إذن يمكن القول إن المعرفة العقلية تفترض نوعاً من الثنائية أو التقابل بين الذات العالمة والشيء المعلوم، وهذا التقابل هو ما يسمح لنا بالقول حينئذ رأيت شيئاً أو فكرت بشيء، من هنا كانت المعرفة العقلية بحاجة إلى شروط قبلية أخري إن عملية وضع شروط للعقلانية ليس بالبساطة المتصورة وخاصة عندما يتعلق الأمر بالمفهوم، ذلك لأنه مهما تكن هذه الشروط علميه فإنها تبقى معبرة عن خصوصية معينة، ولكن يمكن غض الطرف مبدئياً عن هذه المسألة لأجل أن نصل إلى الغاية المرجوة، لقد حدد (**ديكارت**) في كتابه " **المقال في المنهج** " خطوات الفكر التي ينبغي أن نتبعها للوصول إلى التفكير السليم وعلى راس هذه القواعد :

" لا توافق دون قيد أو شرط إلا على تلك القضايا التي يكون صدقها من االوضوح والتميز بحيث لايمكن الشك فيها " (**و.أ.ب بفرح " 1992م – ص 137**). (24)

الوضح هنا أن ديكارت يحدد من شروط العقلانية الوضوح والتميز وهنا يتبادر سؤال **هل شرطاً ديكارت للعقلانية قائمين، أم أن هناك من حاول أن يضيف إلى هذين الشرطين شرطا متمما؟** من الواضح أن شروط ديكارت نسبية، حيث أن ما يكون واضحاً بالنسبة لشخص ما قد يكون غامضاً بالنسبة للآخر، وبالتالي ما هو عقلاني بالنسبة لشخص ما باعتبار أنه واضح ومتميز فقد لا يكون كذلك بالنسبة لآخر بالرغم أن الموضوع واضح.

ويصف (**أنطوان مقدس**) في موقع بحثه عن العقل سمات ثلاث للعقلانية يراها متكاملة و أحيانا متلازمة وهي كالآتي :

الموضوعية أي الاستقلال عن الذات وعن وجهات النظر الشخصية ا،لضرورة أي لا يمكن لها أن تكون مبدئيا على غير ما هي عليه فهي في حدها الاقصي استناجية، وأخير كلية أي صحيحة مبدئيا عند كل إنسان وفي كل زمان ومكان، من الواضح هنا أن العقلانية لا تفهم بمعزل عن السياق الاجتماعي والتاريخي وهذا يعنى أن العقلانية تفهم في ضوء الواقع وليس العكس.

لقد اختلف الفلاسفة حول طرق المعقولية وحول المحاكمة العقلية الاستنتاج والاستقراء المماثلة وهنا يبرز سؤال يبدو للوهلة الأولى إنه السؤال الأساسي المطروح ظمنا أو صراحة عند الفلاسفة وهو بخصوص سلطة العقل المستمدة من ذاته أو المستمدة من مرجع أعلى منه له القول الفصل ؟

أن طبيعة المعرفة العقلية تطرح مشكلة جديدة اوضحها أفلاطون في محاورة برمنيدس: فالمعرفة العقلية تفترض دائماً وجود طرفين: العالم والمعلوم وإن قلنا إن المعلوم وهو هنا المعقولات تتحد بالعقل أتحاداً جوهرياً يبقى أن العقل لا يدرك شيئاً إلا إذا وصف بصفة أو بصفات علماً أن الصفة متميزة عن الموصوفات وهذا يدخل على العلم وبالتالي على الوجود العقلي الكثرة المعنوية ومن هنا لاحظ أفلاطون تناقضاً في قول برمنيدس حوالي **540 – 450**.م : " **الوجود واحد** " وبديهي أن

أفلاطون أدرك هذه المشكلة ، وأدرك أن الكائن البسيط الواحد لا يمكن أن يعرف ذاته فنفى المعرفة عن الواحد ووضعة فوق المعرفة سواء من جهة معرفته لذاته أو من جهة كائن أخر يفوق الى معرفته ، فالواحد لا يعرف **ذاته (إذا أخذت المعرفة على معنى وعى الوجدان النفسي أو على معنى الإدراك العقلي)** وهو لا يعرف أيضاً بالمعاني المذكورة أعلاه، ومن هنا كانت مشكلة العقل ايضاً مع ذاته، إذ هو لا يعرف ذاته إلا إذا كان مركباً فعرف جزءاً من ذاته بجزء آخر فلا يكون العالم هو عين المعلوم وهو أيضاً لا يعرف الواحد باعتباره طبيعة المعرفة العقلية التي تميز الصفة من الموصوف. (25)

ويعرفها " **د. إبراهيم مذكور** " في المعجم الفلسفي : بأن المعرفة العقلية هي مجموعة الاستعدادات الفكرية والعادات الذهنية والإعتقادات الأساسية لدى فرد أو في مجتمع من المجتمعات وتختلف العقليات باختلاف البيئات (26)، ولكن دعونا نعود إلى السؤال الذي طرحناه في بداية حديثنا عن العقلانية ألا وهو هل كل عقل ينتج عنه بالضرورة عقلانية؟

مما سبق أتضح لنا أن العقلانية مذهب يحاول أن يخضع كل شيء لسلطة العقل، في حين أن العقل وكما يقول عنه _**(ديكارت)** أنه : "**اعدل الأشياء قسمة بين الناس**" ،بمعنى أخر أن العقل هو الذي يميز الإنسان عن غيره من الكائنات أي يكاد يكون لدى الناس جمعياً ولكن هل لكونه موجوداً لدى الناس جمعياً يكونوا عقلاء ؟

عليه فإنني وحسب اعتقادي أنه ليس بالضرورة أن ينتج كل عقل عقلانية، وبالتالي يمكننا أن نستنتج أن كلمة عقلانية ما أيسر أن نقولها في سياق الحديث وما أعسر أن نجد لها التحديد المحكم.

المعـرفة العلميــة

منذ القدم والإنسان في مواجهة العديد من النظريات والقضايا حول الكون والحياة وحتى حول نفسه، ساعيا لإزالة الغموض من حوله والوصول إلى الحقيقة ، وحتى يصل إلى هذه الأخيرة يستلزم عليه أن يبحث في المعرفة التي تكون مجردة إلى أقصى الحدود من النزوات والأهواء التي تعكر صفو البحث عن الحقيقة ألا وهي المعرفة العلمية.

مفهـــوم العـــــلم

العلـــــم لغـــــة: يعرفه **(ابن منظور)** بأنه :وعلم بالشيء : شعر ، يقال ما علمت بخبر قدومه، أي ما شعرت ، يقال استعلم لي خبر فلان وأعلمه حتى أعلمه ..... وعلم الأمر وتعلمه : أتقنه . **ويعرف (ابن دريد 321هـ) العلم**: " أنه نقيض الجهل، وهو الإدراك أو المعرفة عامة، أو اعتقاد الشيء على ما هو به على سبيل الثقة ... "

كما عرف أيضا **(لالاند)** العلم في معجمه: بالآتي": من الممكن تمييز عرف، بمعنى علم ما هو، من فهم بمعنى فسر "

العلـــم اصطـلاحاً :يعرف العالم الهندي (**مُحَمَّد علي التهانوي 1945م**) في موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون هذا المصطلح بالاتي: "يطلق على معان منها الإدراك مطلقا وتصورا كان أو تصديقا، يقيني أو غير يقيني وإليه ذهب الحكماء، ومنها التصديق مطلقا كان أو غيره، أو إدراك حقائق الأشياء وعللها، أو على إدراك المسائل عن الدليل"، وفي معجم "لا لاند" يعرفه : " هو مجموعة معارف وأبحاث على درجة كافية من الوحدة والعمومية، ومن شأنها أن تقود البشر الذين يتكرسون لها إلى استنتاجات متناسقة لا تنجم عن مواضعات ارتجالية ولا عن أذواق واهتمامات فردية تنجم عن علاقات موضوعية نكتشفها بالتدريج ونؤكدها بمناهج " (27)، بينما نرى أن (**دريد**) يرى أن العلم " هو الإعتقاد الجازم المطابق للواقع أو هو ما يمثل اليقين والحكم الجازم غير القابل للتشكيك " ثم قسم العلم قسمين: " علم قديم وهو ما يختص بالله عز وجل والآخر علم حادث وهو ما يختص بالخلق ، وينقسم إلى قسمين: ضروري لا يقع عنه نظر أو استدلال، أي لا يحتاج إلى ذكاء كالعلم بإحدى الحواس الخمسة الظاهرة وكذلك الباطنة، كحديث النفس والإلهام والمنام، أما النوع الآخر فهو علم مكتسب، أي يحتاج إلى قدح الذهن والتعلم، وهذا العلم يتفاوت فيه الناس على حد قوله تعالى: (**فسالت أودية بقدرها**) " **الرعد** :**17**"، كل له قدر باختلاف ما قدر ، وما قدر عليه" (28)، وقد عرفه المعجم الفلسفي للدكتور (**إبراهيم مذكور**) أن العلم بوجه عام : أنه المعرفة وإدراك الشيء على ما هو عليه، وبوجه خاص هو: دراسة ذات موضوع محدد وطريقه ثابتة توصل إلى طائفة من المبادئ والقوانين، وينصب على القضايا الكلية والحقائق العامة المستمدة من الوقائع والجزئيات.

والعلم ضربان: نظري يحاول تفسير الظواهر وبيان القوانين التي تحكمها كالطبيعة والرياضة، وعملي يرمى إلى تطبيق القوانين النظرية على الوقائع والحالات الجزئية، و قسم **أرسطو** (**aristot**، **322 ق.م**) العلوم قسمين: نظرية وهي الطبيعة والرياضة والإلهيات، وعملية وهي تدبير المنزل والأخلاق والسياسة أخذ المدرسيون بهذا التقسيم، ثم أدخلت عليه تعديلات كثيرة في العصر الحديث أثبت إلى عدة نظريات في إحصاء العلوم.(29)

يمكن القول إن العلم نشأ بداية باعتباره نظاماً للمعرفة المقبولة اجتماعياً فعندما بدأ الباحثون يشككون في صحة المعارف اليقينية والنظرية الجاهزة ثم عندما ألغو مفهوم المعرفة اليقينية المطلقة، واستبدلوها بمفهوم المعرفة الموضوعية التي تأخذ في الاعتبار مجموعة الشروط المكونة للفعل المعرفي مع السعي لاستبعاد البعد الذاتي والفردي، إذن نستطيع أن نقول أن الأصل في نشأة العلم هو الفكرة البسيطة التي تقول أن الكافل لصحة معلوماتنا عن الواقع لا يمكن أن توجد في هذه المعلومات وإنما في التجربة التي هي معيار صحة المعارف التي لدينا، وهذا لا يعني أن المعارف المستمدة من التجربة هي معرفة مطلقة بل يعني أن التجربة ليست إلا تأكيدا لأولويات الواقع. (30) إن الناس يهتمون بالجوانب الحسية للعلم أي ما ينتجه العلم في وسائل وأغراض تخدم حاجاتهم اليومية ، في المقابل أصحاب الأفكار العلمية يهتمون بالعلم في حد ذاته كمادة علمية باعتبار المادة

العلمية هي الخاصة بالأفكار العلمية والمولدة لها والقادرة على إحداث تغير في أفكار المجتمع وتحويلها من الإعتماد على الأفكار الغيبة والمعتقدات الشعبية السائدة والإنطباعات المتسرعة.

إن مسألة العلم والعلمية " أي مسألة مابين العلم والعلمية من صلات وعلاقات إنما غدت من المعضلات بسبب الخلط الذي لحق بما للعلم وما للعلمية من معان، غير أن الرأي الأقرب إلى الإحتمال وهو أن العلم يمارس تأثيرا على العلمية كما أن للعلمية تأثير على العلم، بعد توضيح وشرح دلالة الكلمتين المركبتين لهذا المفهوم وهما المعرفة والعلم مع ضبط للفرق بينهما، نأتي مباشرة ونتحدث عن مفهوم المعرفة العلمية.

مفهـــوم المعـــرفـــة العـــــلمية

ينبغي هنا أولا وقبل الخوض في مفهوم المعرفة العلمية أن نوضح فكرة مفادها هي أن العلم من خلال ما سبق ذكره نشاط ينتج عنه بالضرورة نزعة وهي ما نطلق عليها اصطلاحاً علمياً " فالعلمية هي منهج معين في البحث يسلك للوصول إلى معرفة حقيقة الشيء الذي يبحث عنه عن طريق إجراء تجارب على الشيء ولا تكون إلا في بحث المواد المحسوسة (المهدي عبد الرازق (31)، أما التفكير العلمي كما يراه (**فؤاد زكريا**) "بإنه طريقة في النظر إلى الأمور التي تعتمد أساساً على العقل والبرهان المقنع بالتجربة والدليل".(32)

ومن خلال هذا التعريف نرى أن النظرة العلمية لا تعني تطبيق مفاهيم مجردة وواحدة على كل ميادين النشاط الإنساني والإجتماعي، ولا تعني أيضا استخدام تعابير العقل والعقلانية فكثير ما يعطي خطاب العلمية السعي لإضفاء صبغة من الشرعية الأكاديمية على كلام يفتقد إلى الموضوعية ويبتعد عنها، ونستنتج من ذلك أن النشاط العلمي يقوم بدراسة الظاهرة الواقعية والكشف عن قوانين عملها وعن العلاقات الداخلية التي تكون قوامها بغض النظر عن الآراء المخالفة لذلك، وعليه يمكن القول أن العلم نشاط معرفي منظم يمكن التدليل على نتاجاته على نحو امبريقي.

هذا يقودنا إلى إمكانية تحديد الشروط للتفكير العلمي كاستقلالية الفكر وقيامه بذاته، وهذا يعتبر مبدأ أساسي لكل بحث علمي يرفض أن يماثل بين موضوع البحث كما هو قائم وبين الصورة التي يأخذها عنه، من الملاحظة أن هذه النظرة تخص الباحث من خلال رؤيته لموضوع ما من خلال ما يريد الموضوع أن يظهر نفسه به، أو ما يريد الباحث أن يراه عليه ويتبع هذه الشروط و التسليم بأن للموضوع قوانين تحدد وجوده بمعزل عنا وهي التي نسميها القوانين الموضوعية كما يكشف عن أمور كثيرة ومفاجئة لا تظهر في التحليل العقلي.

هذا لا يعنى أن المعرفة العلمية تنفي الجدل العقلاني وتلغي الحاجة إليه فالمعرفة العلمية تجيب عن مسائل لا يستطيع العقل الإجابة عنها وهي ليست من اختصاصه، وكذلك المعرفة العقلانية تجيب على مسائل لا قدرة للعلم إعطاء أجوبة حاسمة عليها، وإنما تقدم المعطيات العلمية لصياغة مثل هذه الإجابات، ومن هذه المسائل تحديد كل مجتمع لأهدافه الكبرى وبنائه لرؤيته الكلية ومنظوماته القيمية والأخلاقية وغايات أفراده، أي كل ما يتعلق بإعطاء وجهة عامة لممارسته، هذا يقودنا إلى الإشكالية الأساسية في هذا البحث وهي معرفة الحد الفاصل بين المعرفة العقلانية والمعرفة العلمية، ذلك لأن هناك وجهات نظر تخلط بين هذين المفهومين ، العقلانية والعلمية بطريقة يسهل فيها استعاضة الواحد منهما عن الآخر لذا يتعين درأ لهذا الخلط أن نعنى بأمر التميز بينهما، ولكن قبل الخوض في هذه المسألة ينبغي علينا إيضاح مسألة ذات أهمية فقد أشرنا إليها سابقاً تتعلق بالعلاقة بين المعرفة العقلانية والمعرفة العلمية وأيهما كانت لها الأسبقية على الآخرى.

هناك سمة طبعت الفلسفات التقليدية من **(افلاطون 347 ق.م)** إلى **(كانط)** ألا وهي اعتبار العقل حائزا بصفة قبلية لكل المقولات اللازمة لمعرفة العالم الخارجي " أي حاصلا بصورة سابقة على التجربة وعلى استعدادات ذهنية لا أثر للتجربة ولا حتى لتطور المعارف عليها، فهي تعتبره عقلا نهائيا كامل البناء لا يخضع لأية علاقة جدلية مع المعارف التي ينتجها ، كما لا تنشأ مبادئه من خلال عمليتي استيعاب الواقع والتلائم معه ولم تنشأ نظرة جديدة إلى العقل إلا بتأثير من الثورة العلمية المعاصرة التي كان من جرائها انهيار المطلقات وتكريس نظرة تقول أن الفكر والعقل قابلان للتغير وأن للمعرفة تاريخ .(33).

بذكر هذا لا نريد أن نتغافل عن المحاولة التي قامت بها العقلانية قي شخص **(كانط)** في أساسها الفاسفي وذلك اعتقاداً منا بأن الكانطية عندما حاولت أن تعيد النظر إلى قيمتها الفلسفية إنطلاقا من منظور لا تاريخي إلى العلم وكأنه اكتمل نضجه ونموه، ووصولاً إلى المرحلة النهائية شرعت انطلاقا في مرحلة معينة من تاريخ العلم " **أي في المرحلة النيوتونية** " فرفعت بعض مفاهيم هذه الأخيرة إلى مرتبة المطلق واحتوت نتائجها لصالح النسق الفلسفي.

إذن فالإشكالية العامة التي تطرح العقلانية التقليدية أساسها في العقل والمعرفة إشكالية قبلية النزعة تبلغ أعلى مراحلها العلمية مع فلسفة **(كانط)** التي تعتبر لوناً عقليا أكثر انفتاحاً عن العقلانية التقليدية.

على ما يبدو أن هناك اختلافاً بين العقلانية الكانطية والعقلانية التقليدية فالجديد مع **(كانط)** هو توسيع عناصر العقل وتنوعه تدريجياً بحسب الرتبة والأهمية غير أن جوهر النزعتين يبقى مع ذلك هو هو إذا لم يصبه في العمق أي تغير أو تحول، أنه الإعتقاد في نظرية الإمكانيات العقلية وثباتها وعدم قابليتها للتحول، هذا القول بثبات المبادي الموجهة للمعرفة بظروفها المطلقة هو ما جعل العلم يطعن فيه على نحو يمكن اختصاره فيما يلي :

تقدم العلوم التاريخية والاجتماعية يعزز الاعتقاد لدى العلماء بأن العقل ليس قائمة متحجرة من المبادئ والتصورات تم إعطاؤها من قبل وبصفة نهائية وكاملة، بل ظاهرة كباقي الظواهر الأخرى يصيبها ما يصبه من تبدل وتحول، فقد أظهرت أبحاث الإنتربولوجيا بما لا يدع مجالاً للشك ولا سيما على يد (**استر وشن**) تنوع العقل وهكذا يمكننا القول: بأن العلم ليس إلا فاعلية جزئية من فاعليات العقل وصياغة لا تنمو وتزدهر إلا في سياق تطور عقلي متكامل يتاح فيه لكل الفاعليات الذهنية أن تتطور وتنمو في الوقت ذاته، ولذلك لا يمكن لهذه العقلانية إلا أن تعجز عن استيعاب الإشكالية الأخرى غير العلمية وأن تنفيها وتلغي شرعيتها، وعندئذ لابد أن تحل نفسها محلها فتصبح في آن واحد علماً وإديولوجيه واعتقاد وأسطورة وتفقد بهذا السبب مصداقيتها.

وفي الواقع إن مشروعية العلم نابعة من رفضه أن يكون ايديولوجيا أي أنه يحدد ميدانه خارجها، ولكنه وهو يفعل ذلك لا يلغي ميدانها ولا شرعيتها وإنما يستقل في أطار الدراسة التجريبة والقصد المعرفي ويترك لها ميدانها الإجتماعي، إنه يرفض أن تشكل الأيديولوجيا جزءا من نظام العقل ولكنه يعتبر هذا العقل مفيداً في تحصيل مطلبه وتنبع شرعيه الأفكار من استجابة العقل إلى حاجات أخرى غير الحاجات العلمية وهكذا يقرر (**رو دلف كرناب**) أحد رواد النزعة الوضعية (أن قضايا الميتافيزيقا لخرقها المستمر لقواعد النحو المنطقي مجرد متتابعات كلامية يعوزها المعنى قدر ما تعوزها القيمة، وأن القدرات المعرفية الأكثر كمالاً غير قادرة على أهابه البشر إيه معارف ميتافيزيقية فالله ولا الشيطان بقادر على التحقق من مصداقية ما هو محض هراء(**34**)، فالوضعية المنطقية تسمح وكأمر مشروع بتلك التصورات والأفكار المشتقة من الخبرة ، وهم يرون بوضوح أكثر أن العلم ليس نسقا من التصورات ولكنه نسقا من القضايا وتبعا لذلك كانت لديهم الرغبة في أن يسمحوا فقط بتلك التي يمكن أن ترد إلى قضايا الخبرة الأولية.

فالحديث عن مصير الإنسان مثلاً أو الجوهر أو المطلق فهذه أمور لا معنى لها وبالتالي لا عقلانية، وهنا يبرر الخلط بين النظرة العقلانية والنظرة العلمية فمن الممكن القول أن هذه القضايا لا علمية ولكن ليس بالضرورة أن تكون لا عقلانية، ذلك لأن قيمة العقلانية لا تكمن في علميتها ولا تنبع في مماثلة منطقها لمنطق العلم التجريبي، بل في قدرتها على تغيير الواقع ضمن النسق الاجتماعي المتحول إنها لا تهدف إلى تقرير الحقائق بقدر ما تعنى بتبديل الوقائع.

بالتالي فهي بالأساس رؤية غير علمية دون أن يعني ذلك إنها لا عقلانية، فالنظرة العقلية إلى الأمور نظرة مطمئنة جدالية عند الضرورة تبسيطه على العموم ، والموضوع العقلي هو موضوع مبني ومركب في الذهن وهو غير الموضوع العلمي الواقعي الذي لا يستطيع أن نعقله إلا من خلال نظم معينة خاضعة لتطور المعرفة أو نموها، في المقابل نجد أن المواضيع العقلانية ليست لها مقاييس محدده مسبقة والغاية في المواضيع العقلانية غاية عمليه جماعية ، فالإقبال علي الماضي واستنطاقه واسترجاعه لا لمعرفة

الماضي في حد ذاته ولكن من أجل مصلحة الجماعة والدفاع عنها وتعزيز ثقتها بنفسها وترسيخ إدراكها لذاتها، إذن يمكنني القول هنا أن الوضعية المنطقية حاولت البرهنة علي أن الميتافيزيقا بصفتها الذاتية ليست شيئاً وإنها بلا معنى أو جوفاء أو معنى أكثر دقة هي قضايا غير علمية ، وذلك لأنها تخالف شروط المعرفة العلمية، ولكن هذا لا يعطينا الحق في القول بأنها لا عقلانية، ذلك لأن الحقيقة في الفكر العلمي حقيقة عقل منفتح بخلاف الحقائق في الفكر غير العلمي.

فالوضعيون يضعون معيار التميز بطريقة (**إمبريقية**) فالتحقق من مصداقية القضايا امبريقيا لم يعد فحسب معياراً للعلم بل معياراً للعقلانية لذلك أتصور أنه لابد من أن تكون هناك معايير مختلفتاً لاختلاف المفهومين.

من المعروف أن الوضعية المنطقية تقسم القضايا إلى فئتين : قضايا صورية وقضايا واقعية تتطلب أن تكون قابلة للتحقق الإمبريقي، وقد افترض فيما أن تكونا شاملتين لكل أنواع القضايا المفيدة وإذا فشلت جملة ما في التعبير عن شيء صحيح أو باطل صورياً أو إمبريقياً فإنها لا تعبر أطلاقاً عن أية قضية، فقد تمتلك هذه الجمل معنى عاطفياً ولكنها في الواقع تعد محض هراء، لاحظ هنا أن استحالة الميتافيزيقيا ليست وفقاً لما يمكن معرفته بل رهناً لما يمكن قوله ، وتخلط وجهة النظر التي تعرضها الوضعية المنطقية بين المفهومين فترى أن هناك معياراً هو التحقق في صدق القضايا إمبريقيا ، لاحظ أن معيار التحقق يسري على العلم أكثر من سريانه على العقل بمعنى آخر أن تصنيف هذه القضايا على أساس أنها لا عقلانية يكون وفقاً للمعيار الإمبريقي الذي تأخذ به الوضعية المنطقية ، في المقابل نجد أن (**كارل بوبر 1996م**) رائد النزعة الإبطالية يرى أن: القابلية للتكذيب هي المعيار الحاسم لعلمية أي فرض ولعقلانية الجدل حوله.(**35**)

لكن دعونا نتأمل قليلاً في أن الخلط بين العقلانية والعلمية يكمن في أن المواضيع العلمية التي تستمد قوتها من وجود مقايس أو قواعد راسخة مشتركة يؤمن بها ويدافع عنها ويتعلق بها ومن ثم تصبح معياراً لسلوكه وتفكيره، أن هذه القواعد التي وصل إليها بالخبرة العملية مغروزة في الواقع الموضوعي وهي لم تصبح كذلك وهذا يقودنا إلى نموذج (**توماس كون 1996م**) لعلمية الفرض ففكرة عقلانية الفرض عند (**توماس كون**) هي فكرة نسبية بمعنى أن هناك معايير مختلفة تستطيع باللجوء إليها البحث في مدى عقلانية قبول أو رفض الفرض، ولقد ذهب كون في مذهبه إلي أن مفهوم العقلانية العلمية تحدده الأمثال المثلى (**36**)، ولكن عندما نتساءل **ما الذي يجعل العلم نشاطاً عقلانياً** ؟ فإن الإجابة سوف تكون أنه ينتهج أنجح السبل لتحقيق مأرب العلم، وهذا يعني أن هناك خلط بين أهداف العلم وأهداف العلماء فيقول : أن السلوك يكون عقلي إذا ما امتلك السالك من الأدلة ما يدل على اعتقاده بأن سلوكه أنجع السبل لتحقيق غايته التي يرنو إلى تحقيقها أمر أكثر احتمالاً مما لو كان سلك سلوكاً أخر كان في مقدوره أن يسلكه.

إذن من الواضح هنا أن عامل الأدلة هو الذي يجعل من العلم عقلاني عند توماس كون على نحو مماثل نجد أن (**توماس كون**) يقول " أنه يجب الإقلاع عن الفكرة القائلة بأن الحقيقة هي الهدف الأساسي للنشاطات العلمية وخصوصاً أن العلماء عادة ما يخفقون في تحقيق ذلك الهدف ومن البديهي أن المرء الذي يمتلك مبرراً كافياً لسلوكه يسلك على نحو عقلاني.

هذا يعني أن مشكلة العقلانية عند (**توماس كون**) بصفة عامة تكمن في تحديد الشروط الواجب توافرها في أي سلوك أو تفكير كيف ما يحق لنا أن نصفه باعتباره أن عقلانياً.

الخـــــاتمـــــة

إن ما يميز المعرفة العقلانية عن المعرفة العلمية ليس في وجود أو غياب عنصر المشاركة، وإنما طبيعة القواعد التي تحددها، أي النظام المؤسس الخاص لكل منهما، فالعلمية تحدد نمطاً في المشاركة فيها على أساس احترام قواعد وضوابط أكثر دقة كما يفرض على الراغبين في النفوذ إليها اتباع نوع من التدريب والتعليم المنهجي، وهذا لا يمكن توفره بشكل نظري عند جميع الناس فيما يكفي للدخول إلى دين جديد أو التعبير عن المشاركة في الجماعة المنتمية إليها ذكر الشهادة أو التصريح بالإيمان يتطلب الدخول إلى النمط العلمي مهارات وتقنيات ومصطلحات ومفاهيم خاصة ودقيقة لإبراز القدرة على استخدامها والتحكم بها. إذن العلمية تفترض درجة عالية من الكفاءة والمهارة وعليه فإننا نقول أن وظائف المعرفة العلمية مختلفة نوعيا عن وظائف المعرفة العقلانية، فبقدر ما تتركز هذه الأخيرة على تحقيق التماهي المباشر أو انتماء الفرد إلى الجماعة تعمل المعرفة العلمية على وضع نظام ومراقبة تنفيذه، وهنا نرى أن المعرفة العقلانية ترفع إمكانية الانتماء والتماهي إلى حدها الأمثل فهي مضطرة لأن تكون مساحة مفتوحة ومنظمة بأقل ما يمكن من القواعد والعوائق بحيث لايستبعد أحد من أفراد الجماعة أو من الذين ينزعون للإندماج فيها، سواء بالمشاركة الإيجابية أو التذوق السلبي كذلك هي أيضا ترددية توحي بالأمن والإستقرار والإستمرارية بعكس المعرفة العلمية المنفتحة للنظم العلمية والتقنية ، من هنا نلاحظ أن ما تتميز به المعرفة العقلانية من بساطة في الشكل التنظيمي وإستمرارية أو إمتثالية عفوية وتنوع في الزمان مع الإحتفاظ بنمطية عميقة واحدة تستعيد الصيغ الثابتة، وهذا يجعل من الصعب إزالة التمايز بين المعرفة العقلانية والمعرفة العلمية أو جعل العقلانية نوعا من العلمية، وبمعنى أكثر دقة خاضعة لنفس القواعد والأطر والمعايير التي تخضع لها المعرفة العلمية من الصعب أيضا تحويل المعرفة العقلانية إلى علم وفي المقابل لا نستطيع أن نحول العلمية عن وظيفتها الأساسية، فمهمة المعرفة العقلانية هي تفسير الواقع أما المعرفة العلمية فهي تقييم الواقع وإصلاحه وبالتالي تجاوزه نحو الأفضل بالطبع.

من هنا نفهم التعارض الحاد بين المعرفة العقلانية والمعرفة العلمية فتحديد الغايات والواجبات لا يقل أهمية عن تفسير الواقع فالعلمية تستمد من كونها تحدد الغايات وترسم سلم الواجبات وتفوقها على كل ما هو نظري صرف، ولكن الغاية على الصعيد

العقلي غاية إنسانية شاملة بينما الغاية على الصعيد العلمي غاية جماعية خاصة وبقدر ما تحتوي المعرفة العلمية على مضمون عقلي إنساني ترتفع الغاية فيه وتكتسب أبعاداً شمولية.

فالمعرفة العلمية لا تعني تطبيق مفاهيم مجردة على كل ميادين النشاط الإنساني والاجتماعي ولا تعني أيضاً استخدام تعابير العقل والعقلانية فكثير ما يعطي خطاب العلمية السعي لإضفاء صبغة من الشرعية الأكاديمية على كلام يفتقد إلى الموضوعية ويبتعد عنها ، بل إن لجوء الباحثين المتكرر إلى علمية أقوالهم غالباً ما يغطي شكهم هم أنفسهم بصحة منطلقاتهم وفهمهم السطحي والمجرد لصفه العلمية، وهكذا يتضح لنا أن قدسية المعرفة العقلانية قد تسربت بطريقة أو بأخري إلى المعرفة العلمية.

* * * * * * * * * * * * * * *

الهوامش

* حركة التنوير ظهرت في أوروبا وأمريكا من أنصار العقلانية وأهم مبادئها هو إشارتها إلى قدرة العقل على حل المشكلات الطبيعة والإنسان بحيث لا يعود الناس بحاجة إلى مصادر أخرى غير عقولهم وهذا يعينهم على فهم ما يريدون أن يفهموه.

* لم يكن النظر في علم المعرفة على انه وجود مستقل عند القدماء بل (**افلاطون**) هو من ادخل بحوث المعرفة وقتها في ذلك الوقت وسميت بالجدل و(**ارسطو**) أيضاً في دراسته ما بعد الطبيعة " ولكن دون أن يضع حداً فاصلا بين ما له اتصال بالمعرفة وما له اتصال بمشكلات ما بعد الطبيعة ، ولا بين بحوث المعرفة والبحوث المنطقية البحتة فلا يوجد اثر عندهم لمسائل المعرفة التي ظهرت ظهوراً واضحاً من العصر الحديث كالعلاقة بين الذات والموضوع أي العقل والشيء المدرك وأثر كل منهما في عملية الإدراك أو في المعرفة.

* الأمثال المثلي: تختلف عن النظريات العلمية في أنها تمتلك وظائف معيارية بالإضافة إلى الوظائف المعرفية.

المصـــــادر والمـــــراجـــــع

- **ج ف. نيللر** ترجمة **د. مُحَّد منير مرسي و د. مُحَّد عزت عبد الموجود ويوسف ميخائيل أسعد**، في فلسفة التربية، **عالم الكتب**، طبعة الأولى – **1972م**، ص 23.
- **إبراهيم مذكور**، المعجم الفلسفي، **الهيئة العامة لشؤن المطابع الأميرية القاهرة**، طبعة الأولى– **1983م**، ص 121.
- **إبراهيم مذكور**، مرجع سابق، ص 123–124.
- **انصار ناصيف** : الفلسفة في معرفة الأيديولوجية، **دار الطبيعة** بيروت، ط1 **1996م**، ص 34.

- **برهان غلبون** : اغتيال العقل، **دار التنوير**. بيروت ط2، **1987م**، ص 15.
- **برهان غليون** : مرجع سابق . ص 200.
- **برهان غليون**، اغتيال العقل، **دار المعارف المصرية**، الطبعة الثانية – **1987م**، ص250.
- **بوبر كارل** : منطق الكشف العلمي، ترجمة : **ماهر عبد القادر**، **دار النهضة العربية**، بيروت، ط1– **1968م**، ص 72.
- **ج ف. نيللر**.مرجع سابق ص 24.
- **جون: نايلور**، عقول المستقبل، ترجمة **لطفي فطيم**، **المجلس الوطني للثقافة**، **سلسلة عالم المعرفة 1985م**، ص 14
- **حسيبة مصطفي**، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص317.
- **الحصادي نجيب**: أوهام الخلط، **منشورات جامعة قاريونس** / بنغازي ط1، **1989م**، ص5.
- **خليدة وداني وفتحية موساوي**، مرجع سابق .ص6–7.
- **خليل أحمد خليل، أحمد عويدات**، موسوعة لالاند الفلسفية، ط الثانية– **منشورات باريس عويدات**–بيروت– **2001م**، ص1456–1455.
- **د. إبراهيم مذكور**، المعجم الفلسفي، **الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية القاهرة**، طبعة الأولى، **1983م**، ص 187–188.
- **د. إبراهيم مذكور**، المعجم الفلسفي، **الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية القاهرة**، طبعة الأولى– **1983م**، ص 120.
- **د. حسيبة مصطفي**، المعجم الفلسفي، مرجع سابق، ص 624.
- **د. زكي جمعة**، المعرفة والبحث العلمي، **دار الفاربي**، طبعة **2016م**، ص 9–10، https://books.goole.com.
- **د. مصطفي حسيبة**، المعجم الفلسفي، **دار أسامه للنشر والتوزيع**، طبعة الأولى – **2009م**، ص 317.
- **روبرت، غروس وجورج وآخرون**، ترجمة **كمال خلايلي**، ط1– **سلسلة كتب يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون الكويت، 1989م**، ص34.
- **سالم يفوت**، العقلانية في العلم المعاصر، **مجلة الفكر العربي، دار الاتحاد القومي بيروت**، العدد 43،**1977م**، ص 51.

- **الشريف طوطاو**، المنهج النقدي في فلسفة أبي حامد الغزالي مقاربة ابستمولوجية، **مكتبة الثقافة الدينية**، طبعة **2013م**، ص 265 / 268 وأنظر المادة عند الزاوي الطاهر، مختار القاموس (مادة عقله).
- **ظمي لوقا**، الالوهية ومحاكمة العقل، **دار غريب القاهرة** الطبعة الأولى **1992م**، ص66.
- **عبد الكريم بكار**، تحديد الوعي، **دار القلم**، طبعة 8-**2010م**، ص 53.
- **عبدالرحمن بدوي**، خريف الفكر اليوناني خلاصة الأوربي، **الطبع والنشر مكتبة النهضة المصرية**، طبعة 4-**1970م**، ص 171 / 173.
- **على حسين قاسم**، الفلسفة المعاصرة " مذاهب إشكاليات"، **دار الكتب الوطنية**، طبعة 1- **2012م**، ص 77.
- **عند خليدة وداني و أ. فتحية موساوي**، المعرفة العلمية في الفكر العربي المعاصر، **رسالة ماجستير**، تخصص فلسفة عربية، **2016 – 2017م**، ص 9/7.
- **عند مُحَمَّد علي الجندي**، إسلامية المعرفة، **مجلة الفكر الإسلامي المعاصر**، - **2016م**، ص 177.
- **كريم متي**، الفلسفة الحديثة " عرض نقدي"، **منشورات جامعة بنغازي** ط1 **1974م**، ص 64.
- **مُحَمَّد لبيب النجيحي**، مقدمة في فلسفة التربية، ط الثالثة- **دار النهضة العربية –بيروت –1981م**، ص302.
- **مُحَمَّد نور الدين وآخرون**، موسوعة الفلسفة العربية، **معهد الانماء العربي**، طبعة الأولى – **1988م**، ص 117 – 118.
- **المرجع نفسه** ومجمع اللغة العربية المجمع الفلسفية (المادة)، ص624.
- **المهدي عهد الرازق**، بين الطريقة العلمية والطريقة العقلية، **مجلة فورينا** العدد 6، السنة السادسة **1973م**، ص 71.
- **نجيب الحصادي**، ليس بالعقل وحده، **دار الجماهيرية للنشر والتوزيع مصراته**، ط1 **199م**، ص 47.
- **نجيب الحصادي**، مرجع سابق. ص 47.
- **و.ا.ب بفرج**، فن البحث العلمي، ترجمة : **زكريا فهمي**، **دار إقرأ بيروت** ط5 **1992م**، ص 137.

* * * * * * * * * * * * * * *